SIBAWAYH Arabic Language and Education Vol.1 No.2 2020
eISSN 2716-5515 (33-44)

دلالة الصورة الفنية في قصة موسى – عليه السلام – في القرآن الكريم. سورة الشعراء نموذجًا

The Significance of The Artistic Image in The Story of Moses - Peace Be Upon Him – In the Holy Quran. Sura Poets Model

محمد شوقي بن أرشد
Universiti Islam Antarabangsa Sultan Abdul Halim Mu'adzam Shah,
Kuala Ketil, Kedah, Malaysia
syauqi@unishams.edu.my

محمد راضي محمد الباز الشيخ
Universiti Islam Antarabangsa Sultan Abdul Halim Mu'adzam Shah,
Kuala Ketil, Kedah, Malaysia
mohamedrady@unishams.edu.my

محمد عزيز الرحـــمن بن زابيدين
Universiti Islam Antarabangsa Sultan Abdul Halim Mu'adzam Shah,
Kuala Ketil, Kedah, Malaysia
azizul@unishams.edu.my

DOI: https://doi.org/10.37134/sibawayh.vol1.2.3.2020

Received: 01 July 2020; Accepted: 20 September 2020; Published: 30 September 2020

Cite this article (APA): Arshad, M. S., Mohammed Al-Baz Al-Sheikh, M. R., & Zabedin, M. A. R. (2020). دلالة الصورة الفنية في قصة موسى - عليه السلام - في القرآن الكريم .سورة الشعراء نموذجًا. *SIBAWAYH Arabic Language and Education, 1*(2), 33-44. https://doi.org/10.37134/sibawayh.vol1.2.3.2020

الملخص

تكمن مشكلة البحث في توضيح مفهوم الصورة الفنية وبيان مفرداتـــها، وأثرها الفني، والدلالي، وإبراز دورها في الإقناع والتأثير. بعض الناس يكتفي بقراءة ترجـــمة القرآن بدون تأمل تفسيره تأملًا شديدًا. فيأتي هذا البحث ليُفصِّل الترجـــمة الغامضة عند بعض قراء الترجـــمة برسم أو تصوير إطار أو وضع أو جَوّ أو ظروف مـــحيطة أو بيئة أو حالة لـــحادثة ما،كأننا نستطيع أن نتخيلها أمامنا. ويـــهدف هذا البحث إلى دراسة الصورة الفنية في قصة موسى – عليه السلام – وما يتعلق بـــها، وتوضيح دورها في إثراء الدلالة القرآنية، وتوضيح مراد الله سبحانه، وإبلاغ رسالته للبشرية. ومـــحاولة دراسة القرآن من وجهة نظر فنية وبيانية وذوقية وجـــمالية تُعني بإبراز عذوبته

وبيانه الراقي الـــمعجز. ويقتصر هذا البحث على الصورة الفنية في قصة موسى – عليه السلام – في سورة الشعراء ودراسة مصادرها ومفهومها وأثرها الفني والدلالي.

الكلمات المفتاحية: موسى عليه السلام، الصورة، الفن، الأثر، الشخصية.

Abstract:

Every Muslims, regardless of his ability to recite the Quran or mastering the Arabic language, receive a great reward from Allah for reciting the Quran, contemplating its meaning and applying its teaching. But it is noticeable that some readers of Quran while depending on Quranic translation fail to comprehend its interpretation perfectly. Therefore, this research studies the concept of the technical image and its vocabulary in Quran and its artistic and semantic effect. In addition, it also aims to highlight its role in persuasion and influence of the readers. This research comes to detail the mysterious translation of some translation readers, by drawing of photographing a frame, situation, atmosphere, surrounding conditions, environment, or state of an accident, as if we could imagine it in front of us. This research aims to study the artistic image in the story of Moses – peace be upon him – and what is related to it, and clarify its role in enriching the Quranic significance, clarify the will of God Almighty, and communicate his message to humanity. Other than that, this study also explains the role of visual art in enriching the Quran connotations, explaining what Allah really meant (through His word), and communicating His message to mankind. This study focuses on the artistic portrayal of the story of Moses in the Surah al-Shu'araa', and examines its artistic, semantic and its source, concept and impact.

Keywords: Moses - Artistic – Portrayal – Impact – Personality

المقدمة

يـــحاول البحث إلقاء الضوء على دلالة الصورة الفنية في قصة موسى – عليه السلام – في القرآن الكريـــم، وأثرها على إثراء الدلالة حيث إن استخدام التصوير الفني أو الصورة الفنية في القرآن الكريـــم ظاهرة لافتة للنظر في بناء عبارته، فهي: "الأداة الـــمفضَّلة في أسلوب القرآن فهو يعبر بالصورة الـــمحسَّة الـــمتخيِّلة عن الـــمعنى الذهني والـــحالة النفسية وعن الـــحادث الـــمحسوس والـــمشهد الـــمنظور وعن النموذج الإنسانيّ والطبيعة البشرية ثـــم يرتقي بالصورة التي يرســـمها فيمنحها الـــحياة الشاخصة، أو الـــحركة الـــمتجددة"(سيد قطب: 1983: 36).

والقصة إحدى الوسائل التي لـــجأ إليها القرآن الكريـــم ضمن وسائله الـــمتعددة، فكان لـــها حضور لافت للنظر في آيه وسوره. وهذا البحث يلقي الضوء على الصورة الفنية وتوظيفها ودلائلها الإيـــحائية في قصة موسى – عليه السلام – في سورة الشعراء. والقصة في القرآن: "ليست عملًا فنيًّا مستقلًّا في موضوعه وطريقة عرضه وسير حوادثه – كما الـــحال في القصص الفني – إنـــما القصة فيه وسيلة من الوسائل الكثيرة التي استخدمها لغرضه الأصيل

وهو التشريع وبناء الفرد والـــمجتمع، وإن القصة التي ترد فيه لا تـــختلف في غايتها عن الـــمثل الذي يضربه الله للناس"(بكريأمين: 1994: 217). والصورة الفنية لـــها خصوصية في القصة القرآنية إذ تعتمد عليها القصة بوصفها أحد التقنيات الفنية الأصيلة في التأثير والإقناع.

وقصة موسى – عليه السلام – أكثر القصص وروداً في القرآن الكريـــم، وتزخر القصة بفيض غزير من التقنيات الفنية أهـــمها الصورة الفنية التي أثرت تأثيراً مباشراً في الأحداث والشخصيات، والـــمواقف والـــحوارات، والـــحالات النفسية وغيرها من الأشياء الأخرى سوف يوضحها البحث إن شاء الله.

القصة القرآنية

حاول الباحث وضع صورة عامة للقصة ومكانتها عند الناس عامة والعرب خاصة. ويليها البيان عن القصة القرآنية التي يَـــهُمُّ الباحث التركيز فيها. ومن الـــمؤكد أن هذا البحث يعتبر من دراسة قرآنية، ويـــحاول الباحث أن يكشف بعضاً من أسرار القرآن؛ لأن باب القصص القرآني فسيح، وساحته واسعة.

فالوصول إلى هذه الأسرار، يرى الباحث أنه ينبغي علينا أن نعترف بأن العرب في قديـــم الزمان بارعون في إلقاء الأشعار الـــجميلة وهم فخورون بـــها. فجاء القرآن متحدياً لإخضاعهم بأساليبه الـــمتنوعة القوية، منها بأسلوب القصة. ولقد بيَّن الله – عزّ وجلّ – أن القرآن الكريـــم ليس هو كما الأبيات الشعرية التي ألقاها الشعراء والأدباء، بل هو كلام الله تعالى الـــمنزّل بـــمنهجه القويـــم على الناس أجـــمعين ويـــهديـــهم إلى صراط مستقيم. يقول الله تبارك وتعالى: ((**ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً فَاسْلُكُوهُ. إِنَّهُ كانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ. وَلا يَحُضُّ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ**)) (سورة الـــحاقة: 32-34)

إن الكتاب الـــحكيم معجز في كل ما تضمنه وتشمله من قصص وعبر، فالقصص القرآني صدق كله، ولا يوجد فيه أي افتراء كما زعمه الـــمشركون والكافرون، فلا ينبغي أن يشك فيه، فقد قال تعالى: ((**لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ، ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى، وَلكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُدىً، وَرَحْـــمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**)(سورة يوسف: 111)، أي: "لقد كان في قصص أولئك الأنبياء الكرام وما جرى لـــهم من أقوامهم، عبرة وعظة لأصحاب العقول السليمة، والأفكار القويـــمة، بسبب ما اشتمل عليه هذا القصص من حِكم وأحكام، وآداب وهدايات. وما كان هذا الـــمقصوص في كتاب الله تعالى حديثًا يُـــختلَق، ولكن كان تصديق الذي بين

يديه من الكتب السابقة عليه، كالتوراة والإنـــجيل والزبور. وكان في هذا الكتاب أيضًا تفصيل وتوضيح كل شيء من الشرائع الـــمجملة التي تـــحتاج إلى ذلك، وكان هداية تامة، ورحـــمة شاملة، لقوم يؤمنون به، ويعملون بـــما فيه من أمر ونـــهي، وينتفعون بـــما اشتمل عليه من وجوه العبر والعظات"(سيد طنطاوي: 1998: جـــ7، 426)

مفهوم الصورة الفنية ووظيفتها.

قد سبق الـــحديث عن القصة القرآنية على وجه الـــخصوص، فهي طريقة من طرق القرآن الكريـــم الكثيرة التي ساقها الله – عزّ وجلّ – لتحقيق الـــهدف الذي أنزله من أجله، وهذا الـــهدف ينتظم كل السور القرآنية على اختلاف غاياتـــها الظاهرة، وموضوعاتـــها لتشكل في النهاية غرضًا أصليًّا نزل من أجله القرآن الكريـــم بأسره.

وعلى ضوء هذا، فالغاية الأســـمى من تكوين هذا البحث هو الوصول إلى سر الإعجاز القرآني عبر فهم الصورة الفنية الـــموجودة في القرآن، وفهم أساليبه الرفيعة التي لا يتم إلا عن طريق معرفة أساليب البلاغة وفنونـــها، ومنها فنّ الصورة، إذ ينبغي على الباحث والدارسين الآخرين معرفة كتاب الله – عزّ وجلّ –، الذي هو مادة هذه العقيدة، ليردوا عنه شبهات الـــخصوم من ناحية، وليظهروا ما فيه من وجوه الرفعة التي جعلته مُعجزًا يتحدى الـــجميع أن يعارضوه أو أن يأتوا بـــمثله من ناحية أخرى.

وبالرغم من أن مصطلح الصورة الفنية يعد مصطلحًا جديدًا على النقد العربي بـــهذه الصياغة الـــجديدة له، إلا أن "الـــمشاكل والقضايا التي يثيرها الـــمصطلح الـــحديث ويطرحها موجودة في التراث، وإن اختلفت طريقة العرض والتناول، أو تـــميزت درجات التركيز والاهتمام." (جابر عصفور: 1980: 6)

ولذلك، يرى الباحث أنه ليس من الـــمبالغة في شيء القول إن مصطلح الصورة الفنية رغم أنـــها لـــم تكن مذكورة في قديـــم الزمان ولكن مبادئها وأسسها كانت موجودة وسبقت دراستها عند كثير من اللغويين والأدباء بطرق متنوعة.

ولاحظ الباحث أن هذا الأمر ذو علاقة وطيدة بالـــملاحظة التي أبداها فرانسوا مورو في كتابه حيث يقول: "إن الكلمة (صورة) Image هي واحدة من الكلمات التي ينبغي أن يستعملها عالـــم الأسلوب بـــحذر وضبط

دقيقين، إذ إنـــها غامضة وغير دقيقة في نفس الآن، غامضة لكونـــها تسمح باستعمالـــها بـــمعنى عام مبهم جدًّا وواسع جدًّا، وذلك بالنظر إلى هذا الاستعمال من منظور أسلوبي خاص، وغير دقيقة لأن استعمالـــها، ولو في مـــجال البلاغة الـــمحصور، عائم وغير مـــحدد بدقة." (فرانسو مورو: 2003: 15)

فقد ورد تعريف (الصورة) في (لسان العرب) حيث ذكر أن: "صور: في أســـماء الله تعالى: الـــمُصوّر وهو الذي صوَّر جـــميع الـــموجودات ورتَّبها فأعطى كلَّ شيء منها صورةً خاصة وهيئةً مفردة يتميز بـــها على اختلافها وكثرتـــها... والصورة في الشكل، والـــجمع صُوَرٌ وصِوَرٌ وصُوْرٌ، وقد صوَّرَه فتصوَّرَ، وتصورت الشيء، توهـــمت صورته، فتصور لي، والتصاوير، التماثيل." (ابن منظور: 1414ه)

وظيفة الصورة الفنية

لقد أدت الصورة الفنية في النقد القديـــم وظائف شتى أهـــمها (التزيين أو التشويه) أو (الشرح أو التوضيح) و(العجب أو التأثير) وغيرها من الوظائف التي ارتبطت بـــميل كل شاعر ومقتضيات بيئته.

ولا يبتعد القرطاجني عن هذا السياق حين يقسم التصوير أو كما يسميه هو (التخييل) إلى قسمين، يقول: "ينقسم التخييل بالنسبة إلى الشعر قسمين: تـــخييل ضروري، وتـــخييل ليس بضروري، ولكنه أكيد ومستحب لكونه تكميلًا للضروري وعونًا له على ما يراد إنـــهاض النفس إلى طلب الشيء أو الـــهرب منه." (القرطاجني: الـــمتوفي 684ه: 89).

أي أن وظيفة الصورة عنده تأثيرية، إما بالترغيب أو التنفير.

ونـــجد وظيفة الصورة قد اتسعت نوعًا ما عندما نلتقي بالرُّمَّاني، وهو يركز على وظيفة التوضيح والإبانة، وذلك من منطلق الفكر والعقل، يقول: "وللتشبيه البليغ إخراج الأغمض إلى الأظهر بأداة التشبيه مع حسن التأليف وهذا الباب يتفاضل فيه الشعراء، وتظهر فيه بلاغة البلغاء وذلك أنه يكسب الكلام بيانًا عجيبًا ... والأظهر الذي يقع فيه البيان بالتشبيه على وجوه منها: إخراج ما لا تقع عليه الـــحاسة إلى ما تقع عليه الـــحاسة، ومنها إخراج ما لـــم تـــجربه العادة إلى ما جرت به العادة، ومنها إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة، ومنها إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة في الصفة" (الرماني: 1968: 75).

الصورة الفنية في قصة موسى – عليه السلام – في سورة الشعراء

كما نعلم أن القرآن الكريم حوى كثيرًا عن الأمم السابقة فذكر معاشهم، ووصف حياتهم ونشاطهم وبيَّن عقائدهم ومذاهبهم، ووضَّح مواقفهم من رسل الله إياهم. وبذلك حفظ لنا مادة طيبة للقصة القرآنية المشتملة على الأحداث والأشخاص والزمان والمكان.

وثبت للباحث أن القصة القرآنية تملك جميع عناصر القصة الفنية. "فالمكان والزمان والأشخاص والحوادث موضوع الحوار كل ذلك واضح فيها، إلا أنها لكونها هادفة تركز مرة على أحد هذه العناصر، ومرة أخرى على غيرها، وهكذا تراعي الهدف الذي تدعو إليه." (أحمد غلوش: 1986: 289).

والآن هيا إلى الدخول في سورة الشعراء التي يتناول الباحث فيها الصور الفنية المتعلقة بقصة موسى – عليه السلام – في بعض الآيات المختارة نموذجًا.

قيام موسى بدعوة فرعون

ننظر إلى بداية قصة موسى – عليه السلام – مع فرعون وملئه في سورة الشعراء: ((**وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ. وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ. وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ. قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ.**))(سورة الشعراء: 10-15)

هذا مشهد تكليف موسى – عليه السلام – بالرسالة، ويبدأ بوصف سريع خاطف، أي يبدأ بإعلان صفة القوم: (**الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. قَوْمَ فِرْعَوْنَ**) فقد ظلموا أنفسهم بالكفر والضلال، ولكن هذا الوصف يحمل سمة الحوار أيضًا، (**وَإِذْ نَادَى**) فالنداء وضع موضع القول، فهو يحمل معناه، وبذلك تضع القصة – بأسلوبها – القارئ في قلب الأحداث مباشرة ودون تمهيد، وقد جاء هذا الوصف

السريع معبرًا، لأنه كشف عن إحدى القوتين كشفًا واضحًا؛ فهم قوم ظالـــمون، ظالـــمون حين كفروا، وظالـــمون حين أذلوا بني إسرائيل.

وجاءت جـــملة الـــحوار الأولى على لسان (موسى) متساوقة تـــمامًا مع إيـــحاءات هذا الوصف؛ فعبر عن خوفه أن يكذبه هؤلاء الظالـــمون، وأن يضيق صدره ويـــحتبس لسانه، إذ كانت بلسانه حبسة هي التي قال عنها في سورة طه: ((**وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي**)) فلا يستطيع الكلام بسبب تكذيبهم. ورتب على هذه الـــمخاوف الثلاثة[1] طلب إرسال الله إلى أخيه (هارون). ثـــم يكرر (موسى) ذكر الـــخوف مرة ثانية، وهو خوف معلل بـــما فعله هو نفسه قديـــمًا مع واحد من شيعة فرعون يوم وكزه موسى فقضى عليه، فهو يـــخاف أن يقتله فرعون قودًا بـــهذا الرجل.

وهنا، "طلب موسى الـــحماية فطمأنه الله إلى أنه معه يصحبه صحبة نصر وتأييد (...**إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ**) فهو يرســـمها في صورة الاستماع الذي هو أشد درجات الـــحضور والانتباه. وهذا كناية عن دقة الرعاية وحضور الـــمعونة، وذلك على طريقة القرآن في التعبير بالتصوير" (سيد قطب: 1412ه : 2590).

اكتشف أحد الباحثين أن هناك تناسق لفظي دقيق بين قوله تعالى على لسان موسى (**إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ**)وقول الله تعالى **إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ**؛ حيث يقول: "فالتكذيب يكون بالألفاظ والكلمات وآلة إدراكها الأذن السامعة، ومن هنا ناسب ذلك التعبير بقوله تعالى **مُسْتَمِعُونَ** أي أســـمع كلامهم الذي يـــحمل تكذيبهم دعوتك." (محمد دبور: 1996)

حية وثعبان

قال الله تعالى في سورة الشعراء: ((**قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ. قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ. وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ. قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ**)) (سورة الشعراء: 30-34)

[1]) قال سيد قطب: "والظاهر من حكاية قوله – عليه السلام – أن خوفه ليس من مـــجرد التكذيب، ولكن من حصوله في وقت يضيق فيه صدره ولا ينطلق لسانه فلا يـــملك أن يبين، وأن يناقش هذا التكذيب ويفنده.
وانظر في ظلال القرآن، جـــ 5، ص 2589

التعبير في هذه الآية الكريمة يدل على أن العصا تحولت فعلًا إلى ثعبان تدب فيه الحياة، وأن يده حين نزعها كانت بيضاء فعلًا. "يدل على هذا بقوله: (فإذا هي) فلم يكن الأمر تخييلًا، كما هو الحال في السحر الذي لا يغير طبائع الأشياء، إنما يخيل للحواس بغير الحقيقة." (سيد قطب: 1412ه: 2593)

ومن الملاحظ أيضًا أن الحكم التي من أجلها حوَّل الله – تعالى – العصا إلى حية تسعى: توطين قلب موسى – عليه السلام – على ذلك، حتى لا يضطرب إذا ما تحولت إلى ثعبان عظيم عندما يلقيها أمام فرعون وقومه. فقد جرت عادة الإنسان أن يقل اضطرابه من الشيء العجيب الغريب بعد رؤيته له لأول مرة.

... فماذا تأمرون

أحس فرعون بالرعب يتحرك في عظامه، وبأن ألوهيته المزعومة قد أوشكت على الانكشاف، وبأن معجزة موسى توشك أن تجعل الناس يؤمنون به، فالتفت إليهم وكأنه يحاول جذبهم إليه، واستطلاع رأيهم فيما شاهدوه، ويحكي القرآن ذلك بأسلوبه البليغ فيقول:

((قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ))
(سورة الشعراء: 34-35)

في هذه الآية الكريمة يوجد تصوير بديع لنفس هذا الطاغية وأمثاله؛ لأنه قبل ذلك كان يتحدى موسى. ثم بعد أن فاجأه موسى بمعجزته، يصاب بالدهش ويقول لمن زعم أنه ربهم الأعلى **(فَمَاذَا تَأْمُرُونَ)**

رحم الله صاحب الكشاف فقد قال: "ولقد تحير فرعون لما أبصر الآيتين، وبقي لا يدري أي طرفيه أطول، حتى زلّ عنه ذكر دعوى الإلهية، وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية، وارتعدت فرائصه، وانتفخ سحره خوفًا وفرقًا، وبلغت به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو إلههم: أن طفق يؤامرهم ويعترف لهم بما حذر منه

وتوقعه وأحسّ به من جهة موسى – عليه السلام – وغلبته على ملكه وأرضه." (الزمخشري: 1407ه: جـ3، 310)

كثرة السحرة

قال الله تعالى في سورة الشعراء حكاية عن ما أشار به الملأ من قوم فرعون واستقر رأيهم على أمر: ((**قالُوا أَرْجِهْ وَأَخاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ. يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ. فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ**)) (سورة الشعراء: 36-38)

فلاحظنا أن الآية في سورة الشعراء فيها زيادة في المبنى يترتب عليها زيادة في المعنى. وبهذه الدلالة، يبدو لنا أن أرض مصر – حينئذ – كانت تكثر بالكهنة في شتى المعابد. وكان الكهنة هم الذين يمارسون أعمال السحر.

وفي ضوء هذه الحقيقة، "هذا، وقد اختلف المفسرون في عدد هؤلاء السحرة فقيل، كانوا اثنين وسبعين ساحرًا، وقيل كانوا أكثر من ذلك بكثير." (سيد طنطاوي: 1997: جـ5، 348)

يستنتج الباحث من هذا الأمر، أن القرآن الكريم صوَّر لنا بعدد كبير من السحرة الذين جاءوا لمعارضة موسى – عليه السلام – وحده! فهذا العدد الكبير يشير لنا قوة وعظمة معجزة موسى التي أعطاها الله إياه، ويظهر لنا ضعف فرعون في ضد موسى. أَوَليس فرعون قد ادَّعى بأنه إله؟ فلماذا طلب المساعدة من السحرة الموجودين في مملكته؟

لحظة التحدي بين الفريقين

قال الله تعالى: ((**قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ. فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ. فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ**)) (سورة الشعراء: 43-45)

أولًا، لاحظ الباحث أن أسلوب الآية الكريمة يصوّر بعدم مبالاة موسى – عليه السلام – بهؤلاء السحرة الذين أعدوا عُدّتهم لمعارضته أو تلك الحشود التي من ورائهم، فهو مطمئن إلى نصر الله – سبحانه تعالى – له.

ثانيًا، وقعت المفاجأة التي لم يكن يتوقعها كبار السحرة؛ فلقد بذلوا غاية الجهد في فنهم الذي عاشوا به وأتقنوه؛ وجاءوا بأقصى ما يملك السحرة أن يصنعوه. وهم كثيرون وأتَوا من كل مكان. وأما موسى وحده ومعه عصاه فقط. ثم إذا هي تلقف ما يأفكون.

وكما هو بادٍ، فإن هذا الأسلوب القرآني يبرز الحدث مصوراً بعصا موسى تلقف، واللقف هو الحركة السريعة للأكل، فإن ما يحدث من العصا إنما هو حقيقي لا تخييلي، والسحرة يعلمون ذلك جيدًا؛ لأنهم أعلم الناس بحقيقة السحر وما يحدث فيه من تخييل إلى المشاهدين. "أما ما صنعه موسى فليس سحراً ولا شيئًا يشبه السحر، إن عصاه ابتلعت ما صنعوا فعلًا، وبذلك يمهد السياق للتحول الكبير في قلوب السحرة وفي نفوسهم، ويصور الأسلوب أيضًا سرعة السحرة في التحول من الكفر إلى الإيمان، فقد أُلقوا إلقاءً دون إرادة منهم ودون تفكير، وتحركت ألسنتهم بكلمة الحق ناصعة واضحة وعطف هذا الفعل بالفاء دون غيرها (**فَأُلْقِيَ**)."(محمد دبور: 1996: 120)

السحرة منقلبون إلى الله

قال الله تعالى: ((**قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ**)) (سورة الشعراء: ٥٠). هذا قول الله تعالى على لسان سحرة فرعون حيث إننا نجد فيها الحركة منفلتة قوية تغير من الاتجاه الجسدي الذي يجلي الوقفة مع الحق بعد الجحود والكفر. وندرك فيها أيضًا جمالية التجسيم والإضاءة الفنية التي تنبع من حسية الكلمة (منقلبون)، أي تجسم كلمة (منقلبون) في قوة حركتها سرعة الانقلاب الفكري.

وندرك أيضًا "اتـــجاه السحرة إلى الـــخالق اتـــجاهًا كاملًا يعتبر عنه بالانقلاب الذي تنتفي منه الذبذبة، كما أن صوتيات الكلمة قريبة من صوتيات القلب، فهذا يشي بأن الانقلاب كان من جذورهم النفسية. وهو مستمر كما توحي الصيغة الاســـمية في اسم الفاعل (منقلبون)" (أحـــمد ياسوف: 2006: 133)

نـــجاة موسى وقومه ...وغرق فرعون ومن معه

لـــما وصل موسى وبنو إسرائيل أمام شاطئ البحر ووراؤهم فرعون وجنوده اقتربوا لقبضهم، لـــم يطل انتظار موسى لنصر الله – تعالى – بل جاءه سريعًا متمثِّلًا في قوله – سبحانه وتعالى–: ((**فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ**)) (سورة الشعراء: 63)

صوّر الله – سبحانه وتعالى – في هذه الآية الكريـــمة حالة البحر بعد أن ضربه موسى – عليه السلام – مثل الطود العظيم أي مثل الـــجبل الشامخ الـــمرتفع الكبير. (سيد طنطاوي: 1998: ج10، 252)

الخاتمة

وقد توصل البحث إلى النتائج الآتية:

أولًا: القصة هي الـــخبر عن حادثة غائبة عن الـــمخبَر بـــها، فليس ما في القرآن من ذكر الأحوال الـــحاضرة في زمن نزوله قصصًا مثل ذكر وقائع الـــمسلمين مع عدوهم.
ثانيًا: ورد اسم موسى في سورة الشعراء ثـــماني مرات، وسبعة منها وردت في الآيات التي تتضمن صورة فنية.
ثالثًا: الصورة الفنية تعتبر من أهم عناصر التعبير، وهي الـــحد الفارق الذي يـــميز بين التعبير والتصوير.

رابعًا: الصورة الـــموجودة لقصة موسى في سورة الشعراء قد تتنوع عن الصورة في سور أخرى لاختلاف الأحوال والأوقات.

خامسًا: دلالة الصورة الفنية في القرآن الكريـــم دلالة متميزة متفردة، وأنـــها ليست على نـــمط واحد فهي متنوعة وأغراضها متعددة، ومصادر التصوير في القرآن أكثر من أن تُـــحصَى.

المراجع

ابن حازم القرطاجني، (الـــمتوفي:684ه)، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء.**

ابن منظور، 1414ه، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط3.

أحـــمد أحـــمد غلوش، 1986، **الدعوة الإسلامية. أصولـــها ووسائلها**، دار الكتب الـــمصري.

أحـــمد ياسوف، 2006م،**دراسات فنية في القرآن الكريـــم**، دار الـــمكتبي، ط1.

بكري شيخ أمين، 1994م، **التعبير الفني في القرآن الكريـــم**، دار العلم للملايين.

جابر عصفور، 1980، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي**، دار الـــمعارف – مصر.

الرماني – أبو الـــحسن علي بن عيسى، 1968م، **النكت في إعجاز القرآن**، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تـــحقيق: محمد خلق الله ومحمد زغلول سلام، دار الـــمعارف، القاهرة، ط2.

الزمـــخشري، 1407ه، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3.

سيد قطب، 1412ه، **في ظلال القرآن.**

سيد قطب، 1983م، **التصوير الفني في القرآن**، دار الشروق، ط8.

فرانسو مورو، 2003م، **البلاغة الـــمدخل لدراسة الصور البيانية**، ترجـــمة: محمد الولي وعائشة جرير، أفريقيا الشرق.

محمد عبد اللاه عبده دبور، 1996م، **أسس بناء القصة من القرآن الكريـــم**، جامعة الأزهر – كلية اللغة العربية بالـــمنوفية.

محمد سيد طنطاوي، 1998م، **التفسير الوسيط**، دار السعادة.